

أوابد الشهور

Les Superstitions attachées aux Mois.

الصوم الحرساني (١)

يصوم أكثر العراقيات آخر سبت من شهر رجب ، ويسمى هذا اليوم « الصوم الحرساني » أو « صوم مريم » وتصومه عادة كل امرأة ذات بنين أو بنات وتقطع فيه عن الكلام فلا تبس بينت شفة كل ذلك اليوم . وتصومه أيضا من تطلب (مرادا) وعند المساء تقعد الصائمة في حافة البئر في بيتها موجهة وجهها شطر (القبلة) ثم توقد الشموع ، وتفطر باللبن والسيلان وتقول ثلاث مرات : « فطرنا على اللبن والسيلان يعطينا الله مرادنا مثلما اعطى مريم بنت عمران ».

رمضان

هو من اعظم الشهور عند المسلمين كلفة وفيه نزل القرآن « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن » (الآية) وصيامه فرض على كل مسلم ومسلمة . وهو شهر التعب والطاعة . وقد اعتاد أكثر المسلمين ان يتصدقوا على الفقراء في كل ليلة جمعة منها لارواح امواتهم .

وليلة النصف منه تسمى عند اعراب (الممدان) (الخوارة) فيطبخ كل شخص طعاما ويتصدق به عند المساء عن الاموات .

ليلة القدر

الليلة الثالثة والعشرون عند الخاصة هي ليلة القدر وعند العامة هي الليلة السابعة والعشرون وفي هاتين اللتين يتصدق المسلمون على الفقراء ويتعبدون ويصلون والزاهدون المتعبدون منهم يسهرون في تلك الليلة والعامة تعتقد ان السماء تنفتح في ليلة القدر : وان الدعاء مستجاب فيها . كما انها تعتقد بان الشياطين يحبسون فيها .

عيد الفطر

ويسميه العوام عيد الصغير (بضم الصاد وفتح الغين وتشديد الياء المكسورة) (١) فانتا ان نذكر هذه الأبداء في شهر رجب وتلفظ الحرساني بفتح الحاء واسكان الراء وفتح السين يليها الف ثم نون فياء مشددة ويراد به الإعرس في لغة العوام (الكاتب)

وفي صباح العيد يقصد الخاصة المزارات لاداء صلاة العيد فيها . و (الممدان) يقصدون النهر للنظر فيه معتقدين ان « خضر الياس (١) » يمر امامهم . وبعد صلوة العيد تقصد الخاصة والعامة قبور امواتهم فيصدقون هناك عند القبور على الفقراء ويعطون درهما او اكثر لاناس مخصوصين لقراءة سورة (يس) على قبور امواتهم .

دورة السنة

هو يوم « النوروز » وكلمة « نوروز » فارسية معناها اليوم الجديد وهو رأس السنة الجديدة عند الفرس ، ومن اعظم اعيادهم . ويرتقي تاريخه الى آلاف من السنين فيحتفلون به الفرس احتفالا شائقا وقيمون فيه الافراح والمهرجانات واخبار هذا اليوم مشهورة ومدونة في كتب المؤرخين . اما العرب فقد اخذوا عن الفرس . والعوام يسمونه « دورة السنة » والفراتيين يعدونه من الاعياد فيترنون فيه نساء ورجالا ويصافح احدهم الآخر مباركا له بحلول هذا اليوم واعتقادهم فيه غريب جدا ويعد من الاساطير المهمة :

يعتقد العوام على الاطلاق بان ارضنا مسطحة وليست كروية وانها تنتهي بجبل عظيم يسمونه « جبل قاف » ! ويبحر اعظم يسمونه « بحر الظلمات » ! والارض يحملها ثور كبير على قرنيه وان هذا الثور واقف على ظهر حوت كبير ، واذا مر اثنا عشر شهرا ، وهو تمام السنة ، حول الثور الارض من قربت الى آخر ؛ وعندما يحول الارض يعتقد العوام ان احد الحيوانات تمر امام الثور اثناء التحويل فمتدئذ يقولون دارت سنتنا على كلب أو قرد أو غير ذلك وهذه الاضحوكة يشيعها المشعوذون النجمون واصحاب « الفال » في ذلك اليوم . ومن معتقدات العوام ان السنة اذا دارت على « قرد » فرحوا وصفقوا وقالوا سنتنا سنة خير ، لان القرد حيوان ضحوك .

واذا دارت على « كلب » اغتموا وقالوا : سيحصل في سنتنا حرب او قتال اهلي او شجار بين الناس لان الكلب في معتقدهم شرير .

واذا دارت على « الحوت » اعتقدوا انه سيحصل نقص عظيم في طعام سنتهم ، لان الحوت حيوان نهم لا يشبع ولانه ابتلع يونس النبي [عليه السلام] .

واذا دارت على « الخنزير » حزنوا واعتقدوا انه سيصيبهم شؤم ويشق (١) سيأتي في معتقد الناس (خضر الياس) والعرب الخضر الياس .

أحدهم بطن الآخر .

وإذا دارت على «الفار» أو «الدجاجة» قالوا سوف يتفشى الموت بين الناس .

وإذا دارت على «الحية» أو «ابن آوى» قالوا سنتنا سنة خير .

وإذا دارت على «البقرة» فرحوا فرحاً عظيماً وبشر أحدهم الآخر بالخير والنعم والألا . لأن البقرة [حلابة] وأنها مستدر عليهم بخلاف البركات .

والاعتقاد بعدم كروية الأرض غير مقصورة على العوام ؛ بل هناك رجال ممن يعلمهم الناس من العلماء الأعلام وهم يعتقدون عقيدة العوام نفسها فمن المعممين في بغداد «الملا نجم الدين» الواعظ في «الجامع النعماني» أمام دائرة البريد في الرصافة والخطيب في «جامع خان» في جانب الكرخ .

ناقشني ذات ليلة في بيت الحقوقي اللوزعي الصديق السيد محمد منير أفندي القاضي وبمحضر منه وأخذ يسرد لي حججه ليقتنعي بعدم كروية الأرض ؟!

فجادلته وذكرت له المراسد التي شيدتها الدول الإسلامية في العصور المختلفة

وذكرت له أسماء الرجال الذين أثبتوا كروية الأرض منهم : العلامة أبو الحسين عبدالرحمن بن عمر الصوفي ، والشريف أبو عبدالله محمد بن محمد الأديسي الشهير ،

وعلم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبدالغني الأسفوني المعروف بتعاسيف ، والعلامة

رضوان الفلكي ، وعلي بن عيسى الخرائي ، ومحمد بن مؤيد الدين العرضي ؛ حتى

أن هؤلاء جميعهم صنعوا كرات ليمثلوا بها كرة الأرض أو كرة الفلك . وقد

حاولت أن اقنعه بالحجج العقلية والنقلية . إلا أنما أبى وأصر ، وذهبت أقوالي إدراج

الرياح ؛ ولما احتدم الجدل بيني وبينه جاءني من طريقة أخرى فأخذ يقرأ لي

أحاديث موضوعة فحاربتني بالحديث فسكت مضطراً لأنني لم أشأ أن أقول له أن

هذه الأحاديث موضوعة ومختلفة لئلا يرميني بالمروق والجحود والكفر والألحاد .

وإذا كررأتي حضرت سنة ١٩٢٣ وعظ الملا مصطفى ، وهذا الملا مشهور

بين البغداديين ، وهو يعظ الناس في جامع «القبلاية» الواقع في «سوق السراي»

وامام «سوق الهرج» المحاذي للمدرسة المستنصرية والبغداديون يتهافون على

سماع وعظه في شهر رمضان لأنه يعظم بلغتهم ويكثر من النكات الطريفة .

وقد يشتم أحياناً إذا احتدم وغضب ، إلا أن الرجل طيب القلب يحب لبلاده

يحرص الأهلين على الخير ، وقد قال ذات يوم وقد ورم أنفه وعلا صوته غضباً

« والمصيبة أن بعض السرسرية — أي الأوباش — يعتقدون أن أرضنا هذه مدورة مثل البرقالة وأنها غير واقفة بل تمشي في الفضاء » ثم صفق بيده أسفا وقال : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وكان يسمع وعظه كثير من طلبة المدارس وجم من الشبان المنورين ولم يجروا أحدهم على رده لئلا تنهال عليه النعال من العامة .

وفي عام ١٩١٩ ، كنت مديرا للمدرسة كريلا الأميرية وقد أرسل إشراف المدينة أبناءهم إلى مدرستي واحدا اثر واحد وقد لاحظت ذات يوم في جدول تردد التلاميذ أن أحد أبناء الوجاه قد انقطع أربعة أيام متواليات فكتبت إلى والده أسأله عن سبب انقطاع ابنه عن الدرس فجاءني الرجل في اليوم الثاني إلى المدرسة فاستقبلته بما يليق بمقامه إلا أنني لمحت على سيمائه آثار الغضب فابتدرني قائلا بلهجة الحق المنميط : « أنت يا ابن أخي من بيت فضل وعلم وقد كنت جدك وأبوك مثليين حسنين في العلم والأدب فاستبعدت منك أن تلقن ابني أموراً خارجة عن الشرع والعقل وأشياء ما أنزل الله بها من سلطان » فقلت له : « وقد بهت ما الخبر يا عم ؟ قال لي الخبر هو أنني سألت ابني عن دروسه ، فقال : إني أقرأ « جغرافية » وأن الأرض كروية ، وأنها تدور حول الشمس ، وأنها معلقة في الهواء ، أي يا ابن أخي ، أنت فتى فاضل ، وابن فاضل ، وسيط فاضل ، فما هذه العجائب الصادرة منك ؟

فقلت له : يا عم ، أن درس الجغرافية درس رسمي ولا بد من تدريسه ؛ إلا أنني أرتعب أن أسألك : هل أنت معتقد بفضل العلامة السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني وهل أنت معترف بورعه وصحة نظره قال : أجل ! فأخرجت له من خزانتي كتاب « الهيئة والإسلام » للمشار إليه وقرأت له دلائله وبراهينه في كروية الأرض المستندة إلى آلاي الكريم ، وقلت له : اذهب وحاج السيد المشار إليه أنت كنت غير قانع ومصديق بما أقوله : فودعني الرجل وأنصرف مذهوشا متحيرا .

كيفية الاحتفال بهذا اليوم

تسمى الليلة التي تتقدم ليلة « دورة السنة » « المتلمسة » ، والنساء يزعمن

ان السنة العتيقة جاءت تلمس الخبر ، وعليه يحتم على كل امرأة ان تكسرها
وتغسلها وتنظفه وتبيض القدور والاواني عند « الصغار » وتضع في تلك الليلة
تحت سلة الطعام « سبعة سينات » اي سبعة انواع من الاطعمة التي اول اسمها
حرف (س) وهي :

- ١- السمك ويجب ان يكون غير مشوي .
- ٢- سممنو وهو طعام يعرفه الفراتيون .
- ٣- سيناخ اي اسباق .
- ٤- سمسم .
- ٥- سلك بالكاف الفارسية (اي سلق) .
- ٦- سويك » » اي (سويق) وهو شعير مهبش (اي مهروس في
مهراس والكلمة عراقية) ومسهى اي (محمس) ومجروش يخلط بالدبس .
- ٧- سيلان اي دبس
ويطبخون ايضا « زردا وحليب » والزردا هي الارز والدبس مطبوخان
والحليب هو التمن (الارز) والحليب المطبوخان .
وخبز « الركاك » اي الرقاق وهو خبز رقيق يفرش بالشويك ويشوى في
التور .

ويخبزون ايضا « كليجة » وهو خبز صغير ثخين مدور يكون فيه سمن
وقد يطل بالبيض المدوف فيه زعفران والكلمة عراقية فارسية الاصل .
ويسحنون السكر مع السمسم .

ويضعون شيئا من السكر والفاكهة والمخضرات ثم يضعون جميع هذه الاشياء
في صينية ويضعون فيها على عدد اهل البيت اباريق وتلك صغيرة : للذكر ابريق
وللاثني تنكة (التتك جمع تنكة وهو الكوز بلا بلبلة) ويوقدون على عدد اهل
البيت الشموع في الصينية المذكورة وحول الطعام .

ومن عادة الكربلايين وبعض الفراتيين اي العوام منهم ان يأكلوا يعضتين
مسلوقتين من بيض الدجاج ليأمنوا رمد العين .

وفي الساعة التي تدور فيها السنة يجتمع اهل البيت حول الصينية على شكل

حلقة، ويتجهون شطر القبلة وبأيديهم دنائير أو سمس أو ارز يديرونها من يدالي أخرى ويقولون: « اللهم يا محول الحول والأحوال، ويا مقلب القلوب والأبصار حول حالنا إلى أحسن حال » .

ولا يجوز لأحد بتاتا أن يمد يده إلى الصينية ليأكل مما هو موجود فيها قبل دورة السنة فإذا دارت أكلوا منها وأهدى الجار إلى جاره شيئا مما عليها أما الشموع الموقودة فتترك على حالها حتى تنوب من نفسها والنساء يتشاءمن كثيرا إذا انطفأت إحدى الشموع . وبعد ذلك يقصد أحدهم الآخر في بيته ليهنئ به هذا العيد ! وإذا دخل عليهم في صباح دورة السنة أحد أسماء (محمد أو محمود أو أحمد أو مصطفى) يفرحون ويتهجون تيمنا بهذا الاسم التي تسمى بها الرسول الأعظم (ص) . وإذا دخل عليهم رجل أعور أو امرأة أعوراء شوهاء تشاءموا كثيرا .

وفي المدن التي فيها مزارات مثل كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء وغيرها يقصد الناس في دورة السنة ضريح المزارات ويقرأون سورا ويتلون أدعية ويجب أن لا يغرب عن البال أن هذه العادة جاء بها الفرس إلى العراق .

سينزده بدر

كلمات فارسيستان . ومعنى « سينزده » الثالث عشر و « بدر » في الباب ومحصلهما « اليوم الثالث عشر في الخارج » ويحتفل به كل الاحتفال العراقيون ويسميه البغداديون (كسلة) وهو اليوم الثالث عشر الذي يلي دورة السنة وفيه يخرج النساء والأطفال والفتية إلى الأرباض المحيطة بمدنتهم وإلى البساتين والجنات القريبة اليهم فيرمون في النهر أو في البساتين « أبريقا أو تنكة » قد اعشوشب ما حولها . وهذه التنكة يستحضرونها في أول يوم دورة السنة وكيفية استحضارها هي : أنهم يأتون بقطعة من الكتان يملؤونها شعيرا ويشدونها على التنكة المملوءة ماء وبعد مدة ينبت العشب حولها فتحضر فيأخذ كل واحد منهم تنكة فيرميها كما اسلفنا والنساء يجلسن في البساتين ويأخذن حزمة من الحشيش الثابت في البستان ويشدونه من غير أن يقلعنه ويقلقن : « خذ الأخضر واعطنا الأخضر » .

أحمد حامد الصراف